ابن العرندس الحلي (ت٨٤٠هـ)

أ.م.د. محمد حسن محي الدين

المقدمة:

يحفل تاريخ البشرية بأصناف من الناس، تختلف أهواؤهم وتتباين افكارهم، ومع هذا الاختلاف والتباين، تختلف اقدارهم وحظوظهم، واوفر الناس حظا من صدق ايمانه وقويت عقيدته، وهداه الله من الزيغ والباطل، وحين تكون عقيدة الانسان راسخة، تتجلى في مظاهر كثيرة، ولعل المظاهر التي تتجلى فيها عقيدة الشاعر هي اجلى المظاهر واشدها تاثيرا في الاخرين، ومن ثم اقومها واهمها في نشر العقيدة وترسيخ القناعات،

واذا توافرت لشاعرما ادوات صناعته، وسلامة عقيدته ورسوخها، امكن له ان يخلد على مر الدهور والسنين، وشعراء العقيدة هم سدنتها وحملة الفكر لابنائها، وشاعرنا من هؤلاء[1].

اسمه ولقبه:

هو الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس "احد اعلام الشيعة، ومن مؤلفي علمائها في الفقه والاصول"[2] توفي حدود ٨٤٠ بالحلة الفيحاء، ودفن فيها، وله قبر يزار.[3]

عقيدته:

نشا ابن العرندس في الحلة وهي يومئذ (القرن التاسع الهجري) تضم مدرسة علمية راسخة مضى على نشوئها اكثر من قرنين، وحفل تاريخها بعلماء اعلام اشتهر ذكرهم في علماء الامامية، في مختلف البقاع التي التي كانت علامات مضيئة في تاريخ الحوزات العلمية الامامية وكانت صلة الحلة وشيجة العرى مع مدن الامامية آنذاك كالنجف وكربلاء وجبل عامل وقم، فلا غرو ان يكون شعره العقيدي موسوما بوسام المدرسة الامامية، وعواطفها المشدودة، على طول الحقب الى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ومصيبته.

١- كان البحث الاول من شعراء العقيدة بعنوان (من شعراء العقيدة،(١) الناشيء الضغير ت٣٦٦هـ)

٢- الغدير في الكتاب والسنة والادب، عبد الحسين الاميني، تحقيق مركز الغدير، ط٢، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م: ١٥/٧

٣- انظر: البابليات، محمد علي اليعقوبي، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف، (د.ت): ٧٢/١. وشعراء الحلة، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م: ١٤٤/١. واعيان الشيعة، محسن الامين العاملي، تحقيق ولده حسن الامين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م: ١٩٩/٧. والغدير: ٣/٧.

وانظر: مراقد المعارف، محمد حرز الدين، حققه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م: ٧٥/١

شعره:

سمات العصر:

بعد سقوط بغداد بيد المغول (سنة٦٥٦هـ) وما حدث خلال ذلك من احداث، بدات الثقافة الادبية العربية بالانحلال والتراجع، شأنها في ذلك شان العرب الذين اضحت دولتهم الاسلامية المترامية الاطراف تحت سلطة اقوام جدد نشروا حكمهم بحد السيف وسلطان القوة.

واستمرت هذه المرحلة قرونا عديدة تمتد حتى بدايات النهضة الادبية التي ظهرت بوادرها في العراق وبلاد الشام ومصر[٤]، وابرز سمات الادب – واول فنونه الشعر- في تلك الحقبة الجنوح نحو المحسنات اللفظية والبديعية التي حفل بها الشعر، وشعر ابن العرندس مثل ذلك أصدق تمثيل.

وكانت سمتا التقليد والعقم من أبرز سمات الشعر في الحقبة الممتدة من سقوط بغداد حتى بدايات النهضة الجديدة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فقد ظل الشعر يدور في معان مالوفة يكررها الشعراء ويجهدون في محاولة الوصول فيها الى الاصل الذي يقلدونه، ولم يستطع الشعراء الفكاك من اسر التقليد والثقافة المسيطرة على عقولهم.

لقد ظل الشعر في اطاره التقليدي من حيث اغراضه، فالمدح والرثاء يشغل الحيز الاكبر من اغراضه، وصار شعراء المناسبات رائجا، وهو لا يخرج في غرضه عن غرضي المدح والرثاء.

اما المحسنات الشكلية التي شاعت في هذه الحقبة فقد انتجت فنونا تعنى بالجانب الشكلي للقصيدة دون معانيها، فشاع في هذه الحقبة، التخميس والتشطير، والقصيدة المشجرة والالغاز وامثال ذلك من الامور التي تصرف جهد الشاعر في امور لا تطور الفن الشعري، ولا تسهم في انتشاله من وهاد التخلف والتقليد.

والتخميس والتشطير لا يخلو من ان يكون اجترارا للمعاني التي تدور حولها القصيدة المخمسة او المشطرة، وتمطيطا لها مما يجعل شطري البيت يتحولان الى خمسة او اربعة اشطر.

ومثل هذا ينطبق على شعر ابن العرندس الذي ظلت معانيه تدور في تقليدية مكررة وروايات موروثة، ولكن ذلك لا يعني انه لم يقدم لنا في شعره في الامام الحسين عليه السلام فنا تظهر فيها ابداع في الصورة الشعرية وفي زاوية تناول الحدث الذي ظل تناوله في القصيدة الشيعية تقليديا رتيبا. وسيعرض البحث لطريقة تناوله هذه.

شعره في الدفاع عن العقيدة:

ذكرنا ان ابن العرندس كان إمامي المذهب ومن المؤلفين في الفقه والاصول، ومن الطبيعي ان يكون شعره في الدفاع عن عقيدته، ولا سيما اهم الاحداث التي تمثل معلما بارزا في هذه العقيدة وأفكارها.

ويمكن القول ان أغلب شعراء الشيعة الامامية، نظموا في امرين مهمين كانا السمة الرئيسة لشعر اهل البيت عليهم السلام وهما:

١. ولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
٢. مأساة الحسين عليه السلام وما رافقها من أحداث هزّت الضمير الإنساني وأثارت الشجون والحزن في النفوس، ولابد من ان تكون نفوس الشعراء اول المتأثرين بهذا الحدث.

وفي الأمر الأول (ولاية أمير المؤمنين عليه السلام) فان الطابع الغالب على معالجة شعراء الإمامية لهذه القضية ترتكز على أمور:

٤- انظر: المعارك الادبية في العراق في القرون الثلاثة الاخيرة ٧٠٠/٢٠٠٠، اطروحة دكتوراه لكاتب البحث، كلية الاداب جامعة الكوفة، ٢٠٠٥، وفيها عرض مسهب عن الحالة الثقافية في تلك الحقبة، وبدايات النهضة الادبية التي انطلقت بمعركة الخميس في النجف الاشرف، بسعي واشتراك من اساطين الحوزة العلمية فيها (١٢٠٠هـ - ١٢٢٠هـ).

الاول: الروايات التي تواترت عن النبي صلى الله عليه واله والائمة المعصومين، وطرق اثباتها، مما يدخل تحت عنوان علم الكلام بطريقته التقليدية، وفي ضوء منهج اهل البيت عليهم السلام.

الثاني: اظهار كرامات الامام امير المؤمنين عليه السلام وبيان أفضليته وهو يدخل في جانب كبير منه تحت باب الاعتماد على الروايات التي نقلت.

الثالث: المحاكمة العقلية التي يعتمد عليها الشاعر في دحض حجج الخصوم، وقد حفل الادب الاسلامي منذ عصر صدر الاسلام بنماذج من الشعر يعبر كل منها عن وجهة نظر قائله في هذا الامر، حين نشا ما يعرف بالشعر السياسي، فكان للامويين شعراؤهم وللخوارج شعراؤهم، ولأهل البيت عليهم السلام شعراؤهم. وقد اعتمد هؤلاء الشعراء على المحاكمة العقلية في اثبات دعاواهم[٥]

ولا شك في ان المحاكمات العقلية تبتعد في طبيعتها عن روح الشعر، الذي من اولى صفاته مناجاة العاطفة الانسانية وترجمة انفعالات النفس، في التعبير عن تجربة شعورية يبحر بها الشاعر.

ومن هنا يبدو تميّز بعض الشعراء في معالجة مثل هذه القضايا، فكلما كان الشاعر متمكنا من صنعته "والشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[٦] كان اكثر قدرة على التاثير وكان لشعره قدرة اكثر على البقاء والخلود، لان الطبيعة الانسانية، والعواطف الانسانية، باقية ما بقي الانسان وهي – دائما- شغل شاغل لبني البشر.

اما الموضوع الثاني الذي شغل شعراء أهل البيت عليهم السلام فهو قضية استشهاد الامام الحسين عليه السلام في عاشوراء وجميع أولاده وأصحابه... وهي القضية التي بقيت شعلة حيّة في ضمير المسلمين، لا تطمسها الأيّام ولا تمحو ذكرها السنون.

ولقضية الامام الحسين عليه السلام جانبان بارزان:

- جانب عقيدي يتمثل في ان المعركة التي وقعت في سنة ٦١هـ هي معركة صراع بين منهجين:
- الاول ينطلق من مفهوم اسلامي محمدي أصيل يمثله الامام الحسين عليه السلام وقد جاء الاسلام بخطاب موحد للعرب، فحارب دعوى الجاهلية وأمات الروح القبلية الي تنزع للقبيلة وكان بيانه الجديد متمثلا بقوله تعالى" يا أيها الناس إنا خلقتاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " (الحجرات /١٣).

وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد اصحابه وقد عير احدهم بقوله "انك امرؤ فيك جاهلية"[٧] وهي حال العرب قبل الإسلام من الجهل بالشرائع، والمفاخرة بالانساب، والكبر، ولعل موقف الاسلام في صدره أشد ظهوراً في وضع مسميات جديدة للعرب المسلمين بعيدا عن الروح القبلية وعصبيتها مثل: جماعة الانصار وجماعة المهاجرين، وأصحاب بدر وغيرها من المسميات التي وان لم تلغ عصبية النسب تماما الا انها حولتها وجهة دينية[٨]

- والثاني منهج مرتد على الاسلام، يقوم على محو كل ما هو أصيل في الفكر الاسلامي وإحياء سنن الجاهلية بكل اشكالها، وإشاعة التخلف الفكري في إلهاء الناس بأمور جانبية من قبيل شعر الهجاء

٥- انظر: شعر البصرة في العصر الاموي، الشريف قاسم عون، ط٢، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م: ص٤٤ وما بعدها

٦- الحيوان، الجاحظ، ط٢، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م: ١٣١/٣

٧- النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين ابن الاثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر الزوادي ومحمود الطناحي، مطبعة شريعت، ايران: ٣٢٣/١

٨- انظر: تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨: ٤٣/٤. وانظر ايضا: مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، سيد امير علي، ترجمة رياض رافت، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م: ص٢١١ وما بعدها

وأدب النقائض الذي وجد سوقا رائجة في ظل حكم بني امية[٩] فقد اتخذ الامر وجهة جديدة حين جاء الامويون للحكم، اذ اعتمدوا على القوة العسكرية القبلية عتمادا كاملا، واوقعوا الخلاف الشديد بين العرب المضرية والعرب الكلبية[١٠]

بل ان قيام الدولة الاموية تمّ على أساس قبلي، وقد اشتركت قبائل الشام في فتوح الشام ومصر وفارس، ولا بد من ان معظمهم كان يحمل ولاءه القبلي جنبا الى جنب مع ولائه الديني، ولا سيما ان الدولة في منهجها تحبذ ذلك، فكانت هناك قبائل من قحطان احدى شعبتي العرب مثل جذام وكلب ولخم وغسان وطي وتغلب... وكانت هناك قبائل مضرية واخرى من ربيعة من قبائل قيس من مضر العدنانية وثقيف وباهلة وجشم وغيرها[١١] ولما كانت معظم قبائل مضر في الشام من قيس عيلان بن مضر فسموا قيسية اما اليمنيون فكانت غالبية قبائلهم تسمى الكلبية نسبة الى كلب بن وبرة الذي ينتمي الى قبيلة قضاعة[١٢]، ويعرف القيسيون او المضريون ب(عرب الشمال) في حين يعرف الكلبيون او اليمنيون بـ (عرب الجنوب) وحتى قيام الدولة الاموية لم يكن العرب يعرفون هذه التسميات القبلية[١٣]

ويجدر القول هنا: ان العصبية القبلية التي أحياها الامويون وجعلوها قاعدة لسلطانهم، قد نمت عندهم منذ ان تولوا أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقدموا على من سواهم من العرب، بل وحتى على بني هاشم، فقد تولى الحكم بن سعيد بن العاص بن امية على السوق، وتولى عمر بن سعيد بن العاص بن امية على خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، وتولى خالد بن سعيد بن العاص بن امية على صنعاء، وتولى ابو سفيان على نجران، وابان بن سعيد بن العاص بن امية على البحرين، وعمرو بن العاص بن امين على عمان[١٤] ويعلق المقريزي على ذلك فيقول: ان هذا وشبهه "هو الذي حد انياب بني أمية وفتح ابوابهم، واترع كاسهم، وفتل أمرهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضي الله عنه فقال: رحمك الله أبا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار الينا"[١٥] وكان ذلك ايام عثمان بن عفان، اذا ان ابا سفيان توفي في خلافته سنة احدى وثلاثين[١٦]

ان الامويين لم يكتفوا بذلك، بل عزّزوا سلطانهم وقوّوا شوكتهم باسلوب المصاهرة الى القبائل التي تناصرهم لكي تقوى عرى العلاقة معهم، وكان عثمان بن عفان قد أصهر الى بني كلب اليمنيين، فاقتدى

٩- للاستزادة انظر:
الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: احمد عبد الستار فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥- ١٩٦١: ١٢٨/١٦
الكامل في اللغة والادب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.
ويستفاد من النصوص التي نقلها في معرفة العصر
الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) تحقيق علي شيري، مطبعة شريعت، ايران، ١٤٢٨هـ
الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧/٢٠٠٦
١٠- انظر: عالم الاسلام، د.حسين مؤنس، دار الزهراء للاعلام ىالعربي، القاهرة، ١٩٨٩م: هامش ص١٩٥
١١- ينظر بتفصيل: اوفى: الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي(ت٤٥٠هـ)، دار الحرية، بغداد ١٩٨٩م: ٣٠٤
وانظر: جمهرة انساب العرب، ابن حزم، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٣م: ٣٠٣
١٢- انظر: جمهرة انساب العرب: ٤٥٥
١٣- انظر: عالم الاسلام: ١٩٥
١٤- انظر: تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ)، مراجعة وضبط د.مصطفى نجيب فواز و د.حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥: ٨٤
وانظر: النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وهاشم، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة امير، قم، ١٤١٢: ٨٢- ٨٤
١٥- النزاع والتخاصم: ٨٤
١٦- تاريخ الخلفاء

به معاوية وتزوج ميسون بنت بجدل الكلبية وهي ام ولده يزيد (قاتل الحسين) عليه السلام وسرعان ما ظفر بنصرة قبائل كلب اليمانية[١٧] فزوجة عثمان نائلة بنت القرافصة الكلبية وزوجة معاوية ميسون بنت بجدل، وتزوج مروان بن الحكم من ليلى زبانة بن الاصبغ الكلبية وهي ابنة عم نائلة، ولما كان الصهر عند العرب كالنسب فان معاوية أفلح في استغلال مصاهرته بقبيلة كلب اليمانية، حتى انه ضمّ تحت لوائه جميع القبائل اليمانية الشامية[١٨] وتمضي سنة معاوية مع هذا الجناح او ذاك من قبائل العرب حتى اصبحت العصبية القبلية مفتاحا نصل به الى معرفة كثير من اسباب الحوادث التاريخية الكبرى في العصر الاموي، وفهم كثير من الشعر والادب ولا سيما الفخر والهجاء[١٩] والجانب الاخر في قضية الامام الحسين عليه السلام، الجانب العاطفي متمثلا في مخاطبة العاطفة واثارة الاحاسيس الانسانية التي تستبشع ما وقع في هذه المعركة من تجاوز على القيم الانسانية والاجتماعية والخلقية، قلّ نظيره في تاريخ الاسلام، وان لم يكن معدوما.

وفي هذا الجانب يتسع المجال امام الشاعر – لا سيما اذا كان مبدعا ومتمكنا من فنه - للابداع وتوخّي جوانب استنزال الدمعة والمشاركة العاطفية مع آل البيت عليهم السلام في مصيبتهم التي بقيت تفاصيلها تروى على مدى القرون .

وقد لجا ابن العرندس الى كلا الأمرين في الدفاع عن عقيدته ولا شك في ان ثمانية قرون (حتى عصر الشاعر) مرت على القضية الحسينية قد اكسبها طرحا ناضجا، بعد كل هذا التراث الطويل في رثاء الحسين عليه السلام والحديث عن أبعاد ثورته.

أما مدينة الحلة فمن بين ما روي عن الامام علي عليه السلام انه ذكر تمصير الحلة على يد المزيديين، اذ ورد عن علي ابن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابي حمزة الثمالي عن الاصبغ بن نباتة قال: "صبّحت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده الى صفين وقد وقف على تل عرير، ثم أومأ الى أجمة ما بين بابل والتل وقال: مدينة واي مدينة، فقلت يا مولاي أراك تذكر مدينة أكان هاهنا مدينة وانمحت اثارها؟ فقال: لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة السيفية يمدنها رجل من بني اسد، يظهر بها قوم من الاخيار لو اقسم أحدهم على الله لابرّ قسمه"[٢٠]

وشهدت المدينة منذ تمصيرها على يد الامير سيف الدولة صدقة بن منصور الاسدي المزيدي سنة ٤٩٥هـ، ظهور مئات الاعلام فيها، من الذين اطبقت شهرتهم الآفاق، ولقبوا بالقاب دلت على عظيم منزلتهم ومبلغ علمهم[٢١]

ونبغت فيها أسر علمية ما تزال تذكر آثارها بعين الاحترام والتبجيل منهم: آل طاووس، وآل نما، وآل جيا، وآل سعيد، وآل المطهر، وآل معية... كانوا أركانا للنهضة العلمية لا سيما بعد نشوء الحوزة العلمية في الحلة، وتصدرها الزعامة الدينية، ولعل الاسهاب في الحديث عن هذا يؤدي الى الاطالة التي لا موجب لها.

١٧- انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك)، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨: ٣/٢٦٢- ٢٦٤

وانظر: تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٤: ١/٢٨٥

وانظر ايضا: تاريخ النقائض، احمد الشايب

١٨- انظر: العصر الاسلامي، شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ص١٩٢، ١٩٧٨: ٢٣٠

١٩- فجر الاسلام: احمد امين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م: ١/١٨٦

٢٠- انظر: المعالم التراثية والدينية في الحلة الفيحاء، سعد الحداد، الحلة، ٢٠٠٦: ١- ٢

وانظر: من مشاهير اعلام الحلة، د.ثامر الخفاجي، ط١، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٤هـ/٢٠٠٧م

٢١- انظر: من مشاهير اعلام الحلة

لقد عرضت في البحث الاول (من شعراء العقيدة) الى الحديث عن الناشيء الصغير (ت ٣٦٦هـ) وتوظيفه فنه في نصرة قضية الإمام الحسين عليه السلام والذب عن عقيدته في دولة بني العباس، وفي هذا البحث سأعرض لشاعر يكاد يكون نهج السبيل نفسه الذي نهجه الناشئ الصغير، برغم الحقبة الطويلة التي تفصل بين عصريهما (خمسة قرون تقريبا) [٢٢].

هذا التراث الكبير، وغيره كثير، لابد من ان يكون امام عيني شاعر يتخذ من عقيدته ميدانا أوسع لفنه، ولذلك تجده يغرق في تفاصيل الحدث مقلبا صفحاته بلوعة شديدة، منقباً الصور التي هي أكثر تاثيرا من غيرها، وقد بقيت على طول السنين تثير في المسلمين ولا سيما أتباع منهج اهل البيت عليهم السلام اللوعة الشديدة والالم المحض، تلك التي جعلت الادب الحسيني واحداً من الاداب الخالدة في التاريخ .

وسوف أعرض في الاتي لشعر ابن العرندس في الامرين اللذين تقدم ذكرهما وهما: ولاية امير المؤمنين عليه السلام، واستشهاد الامام الحسين عليه السلام.

ابن العرندس وعرضه لقضية الولاية:

بقيت قضية الامامة والولاية واحدة من اهم القضايا التي شغلت الفكر الاسلامي منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى عصر الاسلام هذا، فقد نشأ صراع دائم بين منهجين في الامامة والولاية والخلافة، واحد يقول بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك الناس هملا من دون تنصيب إمام لهم، يقود المسيرة الاسلامية، ويضع الحلول لما يستجد من احوال ومسائل، ويرى أتباع هذا المنهج ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى من بعده لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وسلسلة الائمة الاثني عشر من بعده، في حين ان الفريق المقابل يرى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي ولم يوص لاحد من بعده، بل ترك الامر للمسلمين يرون فيه رأيهم، ولم يستطع الفريق الثاني ان يقدم أسسا موضوعية ثابتة لهذا الاختيار فقد تم مرة ببيعة أهل الحل والعقد (بيعة ابي بكر الصديق) ومرة بالوصية (وصية ابي بكر للخليفة الثاني) وبالشورى ثالثة (اختيار عثمان) وبالبيعة العامة رابعة (بيعة الخليفة الرابع)[٢٣]

وبغض النظر عن الخوض في تفاصيل هذه القضية (فليس هذا مكانه) فان هذين المنهجين بقيا يسيران متوازيين، وان كتبت الغلبة في الإستيلاء على السلطة للثاني منهما، ولكن المؤمنين بالمنهج الاول ظلوا يعلنون عقيدتهم في الوصية، وسلكوا في ذلك سبيلين يهمنا الاطلاع عليهما لما لهما من علاقة بفن ابن العرندس الشعري... هذان السبيلان هما:

١. الاستناد الى الرواية في ترسيخ القناعة بصدور الوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته، ولعل أجلى ما كُتب في ذلك موسوعة الغدير للعلامة الاميني[٢٤] التي عرض فيها المؤلف الى ما قيل من شعر في الغدير طول القرون الماضية، زيادة على الروايات المستندة الى الكتاب والسنة.

وتطلب هذا السبيل من الشاعر ان يعرض الرواية خلال النصوص الشعرية، والاشارة اليها في قصيدته وقد افسح مؤلف الغدير في الجزء السابع من موسوعته محلا رحبا للحديث عن ابن العرندس ونقل بعض النصوص الشعرية له، معلقا عليها بذكر الروايات بتفصيل لا سبيل الى عرضه في هذا البحث[٢٥]

٢٢- انظر ملحق رقم(١) في نهاية البحث

٢٣- انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٤١٧ه/٢٠٠٦م: ٢٨- ٣٤

٢٤- انظر: الغدير في الكتاب والسنة والادب وهو موسوعة في اربعة عشر جزءا تقصت باسهاب وتدقيق مصادر حديث الغدير والروايات التي وردت بشانه، وما ذكره الشعراء عنه من يوم غدير خم حتى العصر الحديث

٢٥- م.ن: ١١/٧- ٣٥

٢. الجانب الثاني: بيان أفضلية الامام علي عليه السلام وأحقيته بخلافة النبي وإمامة الامة، ولعل ذلك – ايضا- يتطلب عرضا للروايات في جانب منه

اما الموضوع الثاني الذي شغل شعراء أهل البيت عليهم السلام ونظموا فيه فهو قضية الامام الحسين عليه السلام.

وكان للشاعر اسهام واضح ومهم في هذا الجانب تمثل في القصائد الكثيرة التي قالها في رثاء الامام الشهيد عليه السلام وطريقة عرضه للقضية من جانبيها الفكري والعاطفي وطريقة الوصف اللافت والدقيق لكلا الامرين

وفي قضيتي الولاية وعرض قضية الامام الحسين آثرت ان اجمل الحديث في القصيدة الاولى التي نقلها صاحب الغدير، وقد اخترتها للتحليل لتكون موضوع البحث وذلك للاسباب الأتية:

١. طول القصيدة اذ بلغ عدد ابياتها ١١٢ بيتا[٢٦]
٢. ثبوت نصها الذي ذكرته ثلاثة مصادر مهمة باختلاف جدا يسير[٢٧]
٣. شمولها للمواضيع التي تقدم ذكرها فيما سبق من صفات البحث، فهي تمثل بحق فكرا ونظرة متكاملة للشاعر وبيانا واضحا عن عقيدته ومزايا اسلوبه في الدفاع عنها.
٤. انها تطرقت الى الامرين الاساسين في منهج اهل البيت عليهم السلام وهما: الحديث عن ولاية امير المؤمنين عليه السلام وعرض قضية الامام الحسين عليه السلام بجانبيها.
٥. احتوت فنونا من البلاغة سنشير اليها.

عرضه لولاية امير المؤمنين عليه السلام:

عمد ابن العرندس في عرضه لقضية الولاية الى السبيلين الذين تقدم ذكرهما وهما: سوق الروايات التي وصلت الينا عن امير المؤمنين عليه السلام وذكر المعجزات التي تحققت على يديه، من خلال شعره ففي قصيدته التي اخترناها ومطلعها:

اضحى يميس كغصن بان في حلى قمرٌ اذا ما مرَّ في قلبي حلا

قال منوها بالروايات التي وردت في امير المؤمنين عليه السلام:

والمعجزات الباهرات النيرا ت المشرفات المعذرات لمن غلا
منها رجوع الشمس بعد غروبها نبأ تصير له البصائر ذُهَّلا
ولسيرهِ فوق البساط فضيلةٌ اوصافها تعيي الفصيح المقولا
وخطاب اهل الكهف منقبةٌ علَت وعلَت فجاوزت السماك الأعزلا
وصعود غارب احمدٍ فضلٌ له دون القرابةِ والصحابةِ افضلا[٢٨]

ومن استناده على ما يروى من مناقب امير المؤمنين عليه السلام يقول:

وبه توسل آدمٌ لما عصى حتى اجتباهُ ربّنا وتقبّلا
وبه دعا نوحٌ فسارت فُلْكُه والارض بالطوفان مُفعمةٌ مَلَا
وبه الخليل دعا فأضحت ناره بردا وقد اذكت حريقا مُشعَلَا

٢٦- انظر: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ١١/٧- ١٨

٢٧- انظر: اعيان الشيعة: ٣٩٩/١١ وما بعدها

٢٨- هذه مناقب لامير المؤمنين عليه السلام وغيرها كثير يذكرها الشاعر يرشح فكرته التي قدمنا الحديث عنها، انظر واقعة رد الشمس والروايات والكتب التي الفت فيها: الغدير: ١٨٦/٣- ٢٠٢، وقد أوصلها الى ثلاث واربعين وفي غيرها من المناقب انظر: م.ن: ١٨/٧- ٢٤

وبه دعى موسى تلقّفت العصا ... حيات سحرٍ كُنَّ قُدْماً أحْبُلَا
وبه دعا عيسى المسيح فانطقٍ ... الميت الدَّفين به وقام من البِلَى
وبخم واخاه النبي محمدٌ ... حقا وذلك في الكتاب منزّلا

الى ان يقول:

وترابُ نعلِ أبي تُرابٍ كُلَّمَا ... مَسَّ القذا عينٍ يكون لها جِلَا
فعليه أضْعاف التحيّةِ ما سَرى ... سارٍ وما سَمحِ السَّحابُ وأهْمَلَا
سمعاً أمير المؤمنين قصائدا ... تزداد ما مر الزّمان تجمّلَا

ولا ينسى ان يمدح شعره فيقول في خاتمة قصيدته:

عربيةٌ نشأت بِحلّةِ بابلٍ ... فغدَتْ تُخَجِّلُ بالفصاحةَ جِرْوَلَا[29]
سادتْ فشادتْ للعرندسِ صالحٍ ... مجْداً على هام النجوم مؤثّلَا
وسمتْ قلوبَ حواسدي وسمتْ على ... (نَمِ العذارِ بعارضيه وسَلْسَلا)[30]
وعلَتْ بمدحِكَ يا علي ووازنت ... (لم ابْكِ ربعاً للاحبّةِ قد خَلَا)[31]

وفي سبيله الثاني في ذكر ولاية امير المؤمنين لجا الى بيان افضليته عليه السلام وتميزه بين الصحابة ومن هنا يرى أحقيته في الخلافة لكونه الافضل فيقول:

هذا الذي حاز العلوم بأسرها ... ما كان منها مُجْمَلاً ومُفَصَّلا
هذا الذي بِصلاتِه وصلاتِهِ ... للدينِ والدُّنيا أتمّ وأكْمَلا
هذا الذي بحُسامِهِ وقناتِهِ ... في خيبرٍ صعبُ الفتوحِ تسهّلا
وأبادَ مَرْحَبَ في النزال بضربةٍ ... ألقت على الكفّار عِبْئاً مُثْقَلا
وكتائبُ الأحزابِ عمّروها ... بدمائِهِ فَوْقَ الرِّمالِ مُرَمَّلا
وتبوكُ نازلَ شُوسها فأبادَهُم ... ضَرْباً بِصارمِ عزمِهِ لَن يُفْلَلَا

وقال في مناقب امير المؤمنين عليه السلام:

ثمّ السلامُ من السلامِ على الّذي ... نُصِبَتْ له في خُمّ راياتُ الوَلا
تالي كتابَ اللهِ أكرمُ من تلا ... وأجلّ من للمصْطَفى الهادي تلا
زوجُ البتولِ أخُ الرسولِ مُطَلّقُ ... الدنيا وقاليها بنيران القِلَا
رجلٌ تسربل بالعفافَ وحبّذا ... رجل باثواب العفاف تسربلا
تلقاه يوم السلم غيثا مسبلا ... وتراه يوم الحرب ليثا مشبلا

اما في شعره في قضية الامام الحسين فان له جملة قصائد في رثائه عليه السلام نذكر منها

١. **قصيدته التي مطلعها:**

صدايا نظامي في الزمان لها نشرُ ... يعطّرها من طِيْبِ ذكراكم نشرُ[32]

٢٩- جرول: قال في الغدير: "جرول من خطباء العرب وفصحائها المشهورين يضرب به المثل فيقال: اخطب من جرول": الغدير: ١٧/٧ واحسب انه اراد بجرول: الحطيئة فان اسمه الاول جرول وهو اقرب

٣٠- مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي، انظر في ترجمته: الغدير: ٣٨٣/٦، و: ١٨/٧

٣١- من قصيدة جمال الدين الخلعي، انظر في ترجمته: الغدير: ١٢/٦- ١٩

٣٢- انظر: الغدير ٣٠.٥./٧ وذكر منها ٥٧ بيتاوأعيان الشيعة: ٣٩٩/١١-٤٠٠ وذكر منها ٤١ بيتاً ووردت في الغدير (ذكراكم) وفي الأعيان: (ذكركم)

٢. قصيته التي مطلعها:

ايا بني الوحي والتنزيل يا املي يامن ولاكم غدا في القبر يؤنسني[٣٣]

٣. وقصيدته التي مطلعها:

بات العذول على الحبيب مسهدا فاقام عذري في الغرام ومهدا[٣٤]

٤. وقصيدة ذكر مطلعها صاحب الغدير وهو قوله:

نوحوا ايا شيعة المولى ابي حسن على الحسين غريب الدار والوطن[٣٥]

وفي تناوله لقضية الامام الحسين عليه السلام في قصيدته التي اخترناها للبحث يبدا بذكر مناقب الامام مشيرا الى الروايات المنقولة في ذلك يقول:

القائم الصوّام والمتصدّق الطعّا م افرس من على فرس علا
رجل بصيوان الغمامة جده المختار في حر الهجير تظلا
وابوه حيدرة الذي بعلومه وبفضله شرح الكتاب تفصلا
والام فاطمة المطهرة التي بالمجد تاج فخارها قد كللا
نسب كمنبلج الصباح يزينه حسب شبيه الشمس زاهي المجتلى
السيد السند السعيد الساجد السبط الشهيد المستضام المبتلى
قمر بكت عين السماء لاجله اسفا وقلب الدهر بات مقلقلا[٣٦]

وهكذا تجده يعرض لمناقب الامام عليه السلام بتفصيل واف كانما يكتب بحثا مفصلا، مستقصيا في ذلك امورا تعد من المسلمات عند من يؤمن بمنهج اهل البيت عليهم السلام.

ويذكر شجاعة الامام عليه السلام فيقول:

فكأنه وجواده وحسامه يا صاحبيّ لمن اراد تامُّلا
شمس على الفلك المُدار بكفّه قمر منازله الجماجم والطِلا
والخيل محدقة بجيم جماله وقلوبهم في الغي تحكي المرجلا
والسبط يخترق المواكب حاملا بعزيمة تردي الخميس الجحفلا
فبسين سحر الخط يطعن أنجلا وبياء بيض الهند يضرب أهدلا
فتخال طاء الطعن انى أُعجمت نقطا وضاد الضرب كيف تشكلا

اما في السبيل الثاني لذكره قضية الامام الحسين عليه السلام وهو سبيل اثارة الجانب العاطفي لدى المتلقي فان الشاعر يسهب في تفصيل واقعة المعركة منبها على الجانب الماساوي فيها، ومشيرا الى خرق جيش بني امية لكل قيم العدالة والانصاف في حربهم مع الامام الحسين عليه السلام فيذكر في رثائه للامام عليه السلام الاحداث بلوعة صادقة وأسى شديد فيقول:

تالله لا أنساه فرداً ضامياً والماء ينهل منه ذيبان الفلا

فاستشهاد الامام الحسين عليه السلام ضامئا قضية ظلت تثير خيال الشعراء وأساهم، ولا تجد شاعرا يرثي الامام الا وقد اشار الى ضمإه ساعة استشهاده برغم وجود الماء بقربهم، بل ان الضمأ يستدعي ذكر

٣٣- انظر: أعيا ن الشيعة ١١/٤٠٠ـ٤٠١، وذكر منها تسعة أبيات، ولم يذكرها صاحب الغدير.
٣٤- انظر الغدير ٧/٣٥ وذكر منها ٥١ بيتاً، وأعيان الشيعة ١١/٤٠١، وذكر منها ١٢ بيتاً.
٣٥- انظر الغدير ٧/٣٥ وقال انها تناهز ٥٦ بيتاً، ولم يذكرها صاحب الأعيان.
٣٦- الغدير: ٧/١٢

استشهاد الامام مترافقا مع استشهاد اخيه العباس عليهما السلام في ذلك الموقف الذي ادى بالعباس عليه السلام الى الهجوم على الجيش للحصول على الماء لعيال اخيه الحسين عليه السلام فيذكر ابا الفضل العباس في قوله:

والسيّدُ العبّاس قد سلب العدا عنه اللباس وصيروه مجدلا (٣٧)

ونجده لا يمر بواقعة في المعركة الا ويعطيها حقّها في الحدث فيصف قتال الامام الحسين عليه السلام ويقول:

حتى اذا ما السبط آن مماته وعليه سلطان الحمام توكّلا
داروا به النفر الطغاة بنو الزنا ة العاهرات وطبقوا رحب الفلا(٢
ورماه بعض المارقين بعيطل سهما فخر على الصعيد مجدلا
واتى بغي من ضباب صائلا بالقس تغميض القطامي الأجدلا(٣
وجثا على صدر الحسين وقلبه حقدا وعدوانا عليه قد امتلا
فبرى بسيف البغي رأسا طالما لثم النبي ثنيتيه وقبّلا

ويذكر ما حدث في ساعة سقوط الشهيد عليه السلام وقد اسهبت الروايات في الحديث عن امور لافتة حدثت حينذاك ويقول بعد الابيات التي تقدمت:

واسود قرص الشمس ساعة قتله أسَفاً وشُهب الفلك أمْسَت أفّلا
ونعاه جبريل وميكال واسـ ـرافيل والعرش المجيد تزلزلا
والطير في الاغصان ناح مغرّداً والوحش في القيعان ناح وأعولا
واتى الجواد ولا جواد فوقه متوجعا منفجعا متوجلا

وبعد استكمال وصف اركان الصورة كاملة قبل المعركة وخلالها وبعدها، يصف الشاعر ما حدث بعد مقتل الحسين عليه السلام وقد تقدم بعض الوصف في الحديث عن جواد الامام الحسين عليه السلام ويكاد يختم الصورة الرواية في قوله:

حتى اذا قتل الحسين وأصبحت من بعده غُرّ المدارس عطّلا
ومنازل التنزيل حل بها العزا ومن الجليس انيس مربعها خلا
بغت البغاة جهالة سبي النسا وبغت وحق لمن بغى ان يجهلا
نصبوا بمرفوع القناة كريمة جهرا وجروا للمعاصي اذيلا
وسروا بنسوته السراة بلا ملا حسرى يلاحظهن الحاظ الملا
وغدوا بزين العابدين الساجد الـ ـحبر الامين مقيدا ومغلّلا
وسكينة امسن وساكن قلبها متحرك فيها الاسى لن يرحلا

ولم يجحد الشاعر الخيل حقها في الوصف، فتراه يرصد فيها اوصافا طالما شغلت الشعراء الفرسان من العرب، منذ عنترة وتحمحم حصانه حتى اليوم، وطالما اخذت الخيل مكانها المميز في أذهان الشعراء وشعرهم فأعطوا للخيل أوصافاً تشير الى شدة اعتزازهم بها، ولا غرو فالخيل يرتبط ذكرها بالفرسان والمعارك والخيل معقود بنواصيها الخير، وهي دليل الشجاعة والفروسية واخلاقها التي انعدمت تماما في

٣٧- لعلها: (مجندلا) بدلا من (مجدلا) فيكون قد أصابها تصحيف

(٢) نشير هنا الى استعماله لغة ضعيفة في قوله (داروا) برغم أن لديه متّسع في عدم استعمالها ، ويمكن أن يقول (دارت)ويبقى الوزن مستقيماً ،ولذلك توجيه يطول القول فيه لعله كان مقصودا .

(٣) القس: السيف ، والقطامي الأجدل : الصقر .

معركة الطف، وضاعت مقاييسها فيها، ولذلك فقد ظل الشعر العربي يستظل بذكر الخيل والمعارك والفرسان ونجد شاعرنا يقول:

فسطا عليهم بالنزال بعزْمَةٍ ... تذر الحسام المشرفيّ مفلّلا
من فوق طِرْف أعوجي سابحٍ ... كالبرق يسبق في سراه الشمألا
فرس حوافره بغير جماجم الـ ... ـفرسان في يوم الوغى لن تنعلا
أضحى بمبيض الصباح مجللا ... وغدا بمسود الظلام مسربلا

بل ان الشاعر يؤنسن تصرف الجواد، ويضفي عليه مسحة آدميّة تظهر تفجّعه، ويضفي عليه حركة وإيحاء رائعاً حين يصف رجوع الجواد بعد سقوط فارسه "الامام الحسين عليه السلام" الى المخيم فيقول:

واتى الجوادُ ولا جوادٌ فوقه ... متوجّعا مستفجّعا متوجّلا
عالي الصهيل بمقلة انسانها ... باكٍ يسحّ الدَّمْعَ نقْطا مُهْمَلا

فالجواد هنا يحس بمقتل فارسه ويعود الى مخيم الحسين عليه السلام بحال من الحزن والبكاء وصهيل الملتاع، ويسند هذا الوصف ما قيل عن جواد الامام الحسين عليه السلام من انه كان من كرام خيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه طلب فلم يلحق كما ذكر اصحاب المقاتل.

نظرة في فن الشاعر:

تقدم القول في ان الشعر يكاد يكون – في فنه- امتداداً لما حفلت به تلك الحقبة ابان حكم المغول وما بعده. ومما ينماز به فن الشاعر في قصيدته هذه:

أضحى يميس كغصن بان في حلى ... قمرٌ اذا ما مر في قلبي حلا
سلب العقول بناظر في فترة ... فيها حرام السحر بات محللا
والنحل شدّ عزائمي لمّا غدا ... عن خصره بندُ القَباء مُحَلا
وزها به كافور سالف خده ... لما بريحان العذار تسلسلا
وتسلسلت عينا سلاسل صدغها ... فلذاك بات مقيّدا ومُسلسلا
قمرٌ قويم قوامه كقناتِهِ ... ولحاظُه في القتل تحكي المنصلا

وتطول المقدمة حتى تبلغ سبعة عشر بيتا في الغزل لتخلص منها الى غرضه في رثاء الامام الحسين عليه السلام.

ونجد في هذه المقدمة صورة للمفردات الغزلية التي حفلت عصور الادب العربي من غزل حي يتجلى في وصف المحاسن، وفي تشبيه تقليدي فهو يميس كالغصن ويشبه القمر ويسلب العقول بنظرة فاترة، وقد داب الشعراء العرب على وصف النظرات بالفتور، وكانهم بهذا ياخذون على الانثى ان تكون ذات نظرات حادة، ويعدونه نوعا من الصلف، وهو انعكاس لعقدة يحملها الرجال الذين يريدون ان تكون المراة دائما مثالا للضعف وفتور النظر واحد من علامات ذلك الفتور المستحب.

ويخاطب الشاعر معشوقه بضمير المذكر، وهو ما جلب على الشعر كثيرا من النقد الاخلاقي واتهام الشعراء بالولع بالغزل بالمذكر، من دون ان يفطنوا الى ان الشار في غزله هذا وامثاله قد لا يعني شخصا محددا بذاته وانما هو تقليد بات مطلوبا وصار سنة لدى لاشعراء ينفسون بها عن عواطفهم. وان موضوع الغزل بالمذكر في الشعر العربي لا يفهم بهذه السطحية والسهولة[٣٨]، وهكذا فالقصيدة في مقدمتها الغزلية

٣٨- انظر في ذلك: المعارك الادبية في القرون الثلاثة الاخيرة واثارها في الحركة الادبية، رسالة دكتوراه لكاتب البحث، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥. وفيها فصل عن معركة الادب الرفيع التي كان ابرز محاورها موضوع الشعر العربي والغزل بالمذكر

لم تكن الّا مظهرا من مظاهر التقليد الذي داب عليه شعراء هذه القرون، وان الشاعر سار على منهجهم واقتفى خطواتهم في ذلك.

ومن مظاهر التقليد في القصيدة لديه ما نجده من التاثر بالموروث الاسلامي من الحديث الشريف والاقوال الماثورة، ففي مقدمته الغزلية يقول:

سلب العقول بناظرٍ في فترة فيها حرام السِّحر بات مُحللا

وهو هنا يستلهم ما يقال عن الشعر انه السحر الحلال، فيرى الفتور في النظرة يسلب العقل كما يسلبه السحر مع فارق ان هذا السحر حلال.

ويفيد من الموروث في استناده الى الروايات التي تقدم الحديث عنها ومنها قوله في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم

رجل بصيوان الغمامة جده ال مختار في حرّ الهجيرِ تظلّلا

مشيرا الى الرواية الماأورة من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان تظلله غمامة في السماء تسير معه أنى سار لتقيه حرّ الهاجرة.

ومن مظاهر التقليد في شعره اهتمامه بحسن التخلص الى غرضه من القصيدة فهو بعد المقدمة الغزلية التي تحدثنا عنها نجده يتخلص الى غرضه ببراعة فيقول بعدها مباشرة:

وجرت سحائبُ عبرتي في وجنتي كرم الحسينِ على اراضي كربلا
الصائم القوّام والمتصدّق الطعا مُ أفرس من على فرس علا

ولا تعدم ان تجد التضمين في شعره بمعناه المعروف في تعلق معنى البيت بالبيت الذي يأتي بعده ومن هذا قوله واصفاً الامام الحسين عليه السلام في المعركة يقول:

فكأنه وجواده وحسامُه يا صاحبَيَّ لمن أراد تأمُّلا
شمس على الفلك المدار بكفّه قمر منازله الجماجم والطُّلا

فجعل المشبه به في البيت الثاني بعد ان ذكر المشبه في البيت الاول.

ولعل ابرز مظاهر التقليد في شعره سعيه لمتابعة ما شاع في عصره من الاهتمام بالمحسنات اللفظية والمعنوية والسعي للاكثار منها في الشعر، والقول في اسباب ذلك يستلزم دراسة موسعة في العصر وما شاع فيه من هذا النوع من الفنون البلاغية.

ومن المحسنات اللفظية التي وردت في قصيدة ابن العرندس واسرف فيها كثيرا بيد انها لم تخل من صور من الجمال والتاثير فن الجناس[٣٩]

والجناس: بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع الاختلاف في المعنى وهو انواع منه.

الجناس التام: وهو ان يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها وهو انواع.

ومن امثلة ما ورد من الجناس في شعر الشاعر الجناس الاشتقاقي[٤٠] في قوله:

وتسلسلت عينا سلاسل صدغه فلذاك بات مقيدا ومسلسلا

والجناس الاشتقاقي هنا في: تسلسلت وسلاسل ومسلسلا

- وقوله:

كسرى بعينيه الصحاح وخده النعمان بالخال النجاشي خولا

في (خال وخولا)

٣٩- والجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع الاختلاف في المعنى وهو انواع سنشير الى كل منها حين ترد في شعر الشاعر

٤٠- الجناس الاشتقاقي هو ان يجمع اللفظين الاشتقاق

- وقوله:

وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم دار المقامة في القيامة موئلا

في (المقامة، القيامة)

- ومنه ايضا قوله:

وسكينة امست وساكن قلبها متحرّك فيه الأسى لن يرحلا

في (سكينة، ساكن)

ومن الجناس التام[٤١] في قصيدته:

- قوله:

وسروا بنسوته السراة بلا مِلا حسرى يلاحظهن الحاظ المَلا

والجناس التام في: ملا بمعنى جمع ملاءة

والملا: الناس

- وقوله:

واتى الجواد ولا جواد فوقه متوجّـعا مستفجعا متوجّلا

والجناس التام في الجواد بمعنى الحصان

والجواد الثانية بمعنى الفارس الكريم

ولا يفوتنك الجناس الناقص[٤٢] في قوله في البيت نفسه: متوجعا متوجلا

وفي الجناس الناقص في قصيدة ابن العرندس موضوع البحث قوله:

وجناته جورية وعيونه حورية تَسبي الغزال الأكحلا

والجناس الناقص في قوله: جورية وحورية

- وقوله

كتب العليّ على صحائف خدِّه نونَي قُسِيّ الحاجبين ومثّـلا

والجناس الناقص في علي وعلى

- وقوله:

ولقد برى فيَّ السقام وبتّ في لُجَجُ الغرامِ معالجاً كَرْبَ البلا

والجناس يظهر في: برى – البلى – بت

- وقوله في وصف الامام الحسين عليه السلام:

الصائم القوام والمتصدق المطعا م افرس من على فرس علا

فالناقص في: افرس – فرس

والتام في: على – علا

- وقوله:

شربوا بكاسات القنا خمرَ الفنا مزج البلاء به فامسوا في البلا

---

٤١ – الجناس التام: هو ان يتفق اللفظان في انواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها وهو انواع:
جناس مماثل: وهو ما كان طرفاه من نوع واحد كاسمين مثلا
جناس مستوفٍ وهو ما جاء طرفاه من نوعين مختلفين كاسم وفعل
جناس التركيب: وهو ما كان احد لفظيه مركبا وهو انواع.

٤٢ – والجناس الناقص: هو ما اختلف لفظاه في اعداد الحروف فقط دون هيئاتها وانواعها وترتيبها وهو انواع.

والجناس في: القنا والفنا... والبلاء والبلا

- وقوله:

بذلوا النفوس وبدلوا من جهلهم ما ليس في الاسلام كان مبدّلا

وتجد الجناس الناقص في: بذلوا وبدّلوا

- وقوله:

يشفيك اذ يسقيك منه بوابلٍ عذبٍ له أَرَجٌ يحاكي المندلا

والجناس في: يشفيك ويسقيك

- وقوله:

وخطاب اهل الكهف منقبةٌ غلتْ وعلتْ فجاوزت السماك الأعْزَلا[٤٣]

والجناس في: غلت وعلت

- وقوله:

تلقاه يوم السلم غيثا مسْبلا وتراه يوم الحرب ليثا مشْبلا

والجناس في: غيثا وليثا ... ومسبلا ومشبلا

- وقوله

يا طَفّ طافَ على ثراك من الحيا هامٍ تسير به السحائبُ جَحْفَلا

والجناس في: طف وطاف وهو جناس ناقص

- وقوله:

ولألعنن زيادها ويزيدها ويزيدها ربّي عذاباً مُنْزَلا

والجناس الناقص في: زيادها ويزيدها

وتام في: يزيدها: الخليفة الاموي

ويزيدها: الزيادة وهنا زيادة اللعن

- وقريب من ذلك قوله يصف العصابة الاموية التي سارت بالسبايا الى يزيد في الشام:

تسري بهن الى الشآم عصابةٌ أموية تبغي العطاء الأجْزِلا
ترضي يزيد لكي يزيدلها العطا جهلا ويتحفها السؤالَ معجّلا

والجناس في: يزيد الخليفة الاموي

ويزيد: يعطي المزيد

- ومنه:

والطفلُ شمس حياته قد أصبحت في الخسف في طَفَلٍ وجلَّ مُؤَثّلا[٤٤]

والجناس التام في قوله:

الطفل ويريد به الولد الصغير (الرضيع)

والطَفَل وهو هنا من طفلت الشمس: دنت للغروب

ومن المحسنات المعنوية التي ترد امثلة عليها في القصيدة الطباق.[٤٥]

٤٣- السماك الأعزل: احد السماكين وهما "نجمان نيران احدهما في الشمال وهو السماك الرامح والاخر في الجنوب وهو السماك الاعزل" المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة في المكتبة العلمية، طهران (د.ت): ٤٥٢/١

٤٤- المؤثل: الدائم

٤٥- الطباق: وهو الجمع بين المتضادين ويكون ذلك على انواع:

- ومنه قوله:

فمحلَّلٌ قد صيَّروه مُحَرَّمَاً ومُحَرَّمٌ قد صيَّروه مُحَلَّلا

وهو من قبيل الجمع بين لفظين من نوع واحد، وهنا الجمع بين اسمين: محرم وحلل.

- وقوله في وصف الجواد:

اضحى بمبْيَضّ الصَّباح مُجَلَّلًا وغدا بمُسْوَدِّ الظلامِ مُسَرْبَلا

والطباق هنا في: مبيض ومسود ... والصباح والظلام

- وقوله:

ينثّونَ من جَوْن العيون مدامعاً حُمْراً على بِيْض السوالف هُطّلَا

والطباق هنا في: جون العيون، وبيض السوالف

- وقوله:

تلقاه يوم السلم غيثاً مُسْبِلَاً وتراه يومَ الحرب ليْثاً مُشْبِلَا

والطباق هنا في: يوم السلم ويوم الحرب

ومن الفنون البلاغية الأخر التي وردت في القصيدة:

رد الأعجاز على الصدور[٤٦]: وورد في قوله

وتسلسلت عينا سلاسل صَدغه فلذاك بات مقيدا ومسلسلا

وقوله:

وسلا الفؤاد بِحَرّ نيران الجَوَى منّي فذابَ وعنْ سواهُ ما سَلا

- التكرار: وهو فن بلاغي يتمثل في تكرار اللفظ (حرفا او كلمة او جملة) بهدف ترسيخ المعنى وتوكيد تأثيره في ذهن المتلقي، وقد كرّر قوله (هذا) في ثلاث ابيات متتالية[٤٧] وكرّر الجار والمجرور وحرف العطف (وبه) خمس مرات في قصيدته في خمسة ابيات متتالية[٤٨]
- ومن ترديد الحرف وتكراره والمواءمة بين الكلمات التي تبدأ او تحتوي الحرف نفسه في البيت الواحد تجده يقول:

فاعجبْ لِعَيْن عبيرعنبر خاله في جيم جَمْرة خدِّهِ لن تُشْعَلا

فجمع هنا بين العين في العين وعبير وعنبر، وبين الجيم وجمرة في وقوله ويحسن الافادة من تكرار الحروف في جناس يجمع فيه قواعد الجناس، ولا يفقده تاثيرها وجرسها الجميل يقول:

جيشٌ ملا فوه الفلا وأتى فلا أمست سنابك خيله تفلي الفَلا

فكلمات: فلا فلا، تفلي الفلا، تعاقبت فيها الفاء واللام في تكرار مؤثر فأعطت زيادة على الجناس الذي تحمله جرساً لافتا أضفاه الحرفان على المعنى والجرس.

وتاخذ الحروف في شعره مركزاً مهما، وقد يصوغها صياغة لا تخلو من ابتكار من ذلك قوله:

فبسين سحر الخط يطعنِ أنجلا وبياء بيض الهند يضرب أهدَلا[٤٩]

فتخال طاء الطعن أنّى أُعجِمت نقطا وضاد الضرب كيف تشكّلا

الجمع بين لفظين من نوع واحد: اسمين او فعلين او حرفين

الجمع بين لفظين من نوعين: كالجمع بين الاسم والفعل

طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي او امر ونهي.

٤٦- ورد الاعجاز على الصدور: هو ان تكون للفظ قافية البيت علاقة اشتقاقية بلفظ يرد في نسيجه

٤٧- انظر الابيات في القصيدة في الغدير: ١٧/٧

٤٨- انظر الابيات في: م.ن

ومثل ذلك تجده في قوله يصف حال سكينة بنت الحسين عليهما السلام عند السبي فيقول:

وبدال دمع العين منها غرّقت صاد الصعيد وأنبتت كاف الكَلا

ولامر ما قصده الشاعر قال غرّقت ولم يقل أغرقت، ويسلم الوزن فيهما

وهكذا فانك لا تجد في القصيدة بيتا يخلو من فن بلاغي يوشّح به أبياته، ولكنّ السمة الغالبة على فنّه انه لا يسوق الفن البلاغي الذي يريد سوقَ تعمّل ومبالغة في التحري عنه، إنما يأتي في معظم حالاته عفو الخاطر، يوشح الصورة البلاغية ويضفي عليها جرسا موسيقيا مؤثرا يرافق دائما فن الجناس حين ياتي عفو الخاطر منسجما مع الصورة الفنية التي تحتويه.

من ذلك الصورة التي يرسمها بفنه البلاغي الحافل بالحركة والتجنيس حين يصف موقف الامام الحسين عليه السلام وهو ضامٍ يواجه عشرات الألوف من عسكرِ بني امية الذين احاطوا بالماء يمنعونه من وصوله فيقول:

ضامٍ إلى ماء الفرات فإن يَرُمْ نهلاً يرى البيض الصوارمَ منهلا

فالجناس في (نهل ومنهل) جاء متناغما مع الصورة الشعرية التي يرسمها النص، سيما اذا عرضناه بتمامه فيقول بعد البيت المتقدم:

والقوم مُحْدِقَةٌ عَلَيْهِ بجحْفَلٍ كالبحر آخرُه يحاكي الأوّلا
متلاطم سغبت به أسيافهم فغدا لهم لحم الفوارس ماكَلا

ويختم الصورة برسم ما يثير عجبه من المفارقة في الموقف التي يجدها في البيت الاتي:

ومِن العجائبِ انّه يشكو الظما وأبوه يسقي في المعاد السلسلا[50]

وبعد ذلك ينتقل الى تعميق الصورة بربطها بصورة أخرى تكاد تنبثق منها فيقول:

حامَتْ عليه للحِمام كواسرٌ ظمئت فأشْرَبَت الحِمام دمَ الطُّلا
أمست به سُمر الرِماح وزُرقها حُمراً وشُهْب الخَيل دُهْماً جُفَّلا
هاتيك بالدم قد صبغن وهذه صُبِغَت بنقع صِبغةً لَن تَنصِلا

ومن توظيف الألوان في الصورة، وجعلها برغم تنافرها واختلافها تبدو منسجمة متناغمة، تتكامل من خلالها جوانب الصورة كما تتكامل في ريشة فنان تشكيليّ بارع يقول في إحدى الصور التي يرسمها بالكلمات مع الأبيات التي مرت:

حامَتْ عليه للحِمام كواسرٌ ظمئت فأشْرَبَت الحِمام دمَ الطُّلا
أمْستْ به سُمر الرِماح وزُرقها حُمراً وشُهْب الخَيل دُهْماً جُفَّلا[51]
هاتيك بالدم قد صبغن وهذه صُبِغَت بنقع صِبغةً لَن تَنْصُلا
عقدت سنابكُ صافناتِ خيولِهِ مِن فَوْقَ هاماتِ الفوارس قَسْطَلا[52]

٤٩- الانجل: ذو العينين النجلاوين
الاهدل: المسترخي المشافر (الشفاه)

٥٠- يشير في هذا البيت الى رواية تواتر نقلها تفيد ان الامام عليه السلام هو الساقي على حوض الكوثر يوم القيامة بنص نقله الفريقان عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

٥١- الشهب والشهباء: بياض يتخلله سواد، والدهمة: السواد، الجفل: اجفل القوم: هرعوا مسرعين، والجفل: النافرة قال في لسان العرب: جفلها: نفرها، انظر لسان العرب، : ١٣٦/١١

٥٢- السنبك: طرف الحافر والجمع سنابك، الصافنات: جمع الصافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفا حافر الرابعة، القسطل: الغبار (لسان العرب: ٦٦٣/١١) وأخطا صاحب الغدير حين قال القسطل: المنية، انظر: الغدير: ١٣/٧ هـ٣

فانت تراه جمع بين سمرة الرماح وزرقتها وجعل مآلها واحدا الى الحمرِ لاصطباغها بالدم، وجعل شهب الخيل (أبيضها المُشرّب بالسواد) دُهماً: أي شديدة السواد، ولم يقل حُمراً، ولعله أشار الى آثار النقع فوق رؤوس الخيل الجُفّل، التي لا يقرّ لها قرار فهي سريعة نافرة كثيرة الحركة، فاصطَبَغَت بالسواد لكثرة إثارتها للغبار في حركتها السريعة الكثيرةِ الحمرة قريبةٌ من السواد ممّا أضفى على الصورة الانسجام في الالوان الذي نتج عن شدة المعركة، وكثرة الدماء التي أهرقت فيها حتى يقول مجملا ملامح الصورة:

ودجت عجاجته ومد سواده ... حتى أعاد الصبح ليلاً أليلا
وكأنما لمع الصوارم تحته ... برقٌ تألق في غمام فانجلى

وتجده يبدع في تشكيل لوحته بالالوان المختلفة فيوائم بينها لاستكمال التشكيل اللافت فيصف موقف عيال الامام الحسين عليه السلام بعد عودة الجواد خاليا من فارسه:

فسمعن نسوانُ الحسين صهيلَه ... فبرزنَ من خَلَلِ المَضاربِ ثُكّلا
ينثونَ من جونِ العيون مدامعاً ... حمراً على بيضِ السوالفِ هطّلا

الصورة الفنية في شعره:

لعل مقولة الجاحظ الآنفة الذّكر التي تقول ان الشعر "صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" توحي بوضوح انه لا يمكن تصور شعرٍ خالٍ من الصورة، فما هي الصورة؟ "انها في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات"[٥٣] او هي "تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الابداع الهيئة الحسية او الشعورية للاجسام او المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والحقيقة دون ان يستبد طرف باخر"[٥٤]

ان الشعر نشاط تخيلي يتم برعاية العقل، والتخيل جوهر العملية الشعرية ولا يتم الا بمقدمات تخيلية، ووزن ذي ايقاع مناسب يتيح له التاثير في المتلقي ليستجيب لتخيله وان الشعر لا يقدم نوعاً معرفياً مميزاً، بل هو لا يقدم معرفة على الاطلاق، وليست هذه وظيفته، انما هو تخيل فحسب، ولذلك فلا قيمة لان تكون مادته صادقة او كاذبة في الجانب المعرفي، وانما يجب ان يتوافر على الصدق الفني، فالمهم ما يحدثه من أثر في المتلقي، وما يصاحب ذلك من انفعال.

والشاعر يحاكي ما يتوافق وطبائع الانسان، وما يتحكم في هذه الطبائع من ثوابت أساسية بطريقة قائمة على الاحساس والتخيل والانفعال مع ما يرافق ذلك من متعة ذهنية خالصة عن طريق براعة الشاعر في صنع صوره، وفي إكساب مفرداته دلالتها المتجددة والمؤثرة.

واذا كان الشعر نشاطا تخيليا، والتخيل يشير – فيما يشير اليه - الى الانواع البلاغية للصورة فلذلك اختص الشعر بها دون غيره من فنون القول الأخر، وهي وان توافرت امكانية استعماله في النثر، الا انها تظل لصيقة بالشعر، ووثيقة الصلة به لان الانواع البلاغية، ملازمة أصلا للطبيعة التخيّلية للشعر وهي التي توصل الفعل التخيلي للمتلقي، فالشعر نتاج فاعلية الخيال وهذه الفاعلية ليست نسخا للعالم وانما اعادة تشكيل لعلاقاته.

"والخيال المصور يدرك ما في المعاني من عمق وما يتصل بها من اسرار جميلة ادراكا حادا رائعا، والذوق يختار أصفى العبارات وأليقها بهذا الخيال الجميل"[٥٥]

٥٣- الصورة الشعرية: س دي لويس، ترجمة احمد نصيف واخرين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م: ٢١
٥٤- الصورة الفنية معيارا نقديا، د.عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م: ٩
٥٥- الاسلوب، احمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: ١٩٩

فالاشياء التي ندركها تقع على أعضاء الحس لدينا وتنتج صوراً في الذهن، وتبقى هذه الصورة مخزونة في الذاكرة عندما لا يغدو للاشياء ذاتها وجود... "فاذا اقتضت حاجة للقيام بأي عمل فني وجدت قدرة التصوير موادها أمامها جاهزة للاستعمال"(٥٦)

ولا بد هنا من البحث عن مدى براعة الشاعر في صوره ولا شك في ان "مقياس البراعة أو المفاضلة بين أديبين تعرّضا لفكرة واحدة او موضوع واحد، هو قدرة كل منهما على تصويرها من وجهة نظره الخاصة في اسلوب راق يجمع بين صدق الشعور وصدق التصوير"(٥٧)

ان الصورة تنطلق من مجموع العلاقات القائمة أو المحتملة بين الانسان والمظاهر الوجودية المحيطة به وهي بلا شك "تركيبة معقدة يتدخل في تركيبها عنصران مهمان، أحدهما ظاهري يقوم في الحواس المتخيّلة، والثاني باطني يقوم في النفس وموطن التجربة، ويكون الاول معادلا للثاني وعلى قدر انفعاله"(٥٨)

وهكذا فان لونا ما أو رائحة أو حركة يستو حيها الشاعر من موقف ما، قد توقظ في الذهن سيلا من الصور المختزنة في الذاكرة، وتستدعي الصور بعضها بعضاً، فتنتج أنماطا أخر قد تكون أكثر طرافة وإثارة، والشاعر يملك كثيراً من وسائل التصوير، لانه يحاول دائما ان يقترب باللغة من روحها البدائية الاولى "وكلما قربت اللغة من موضعها البدائي كلما كانت تصويرية"(٥٩)

وليس من طرق محددةٍ لصنع وتشكيل الصورة، ولا يمكن تحديد أنواع معينة لها، فلكل شاعر طريقته في رسم صورته كما يراها، ولهذا فان الشعراء منذ أقدم الأزمنة عبّروا عن معان واحدة، ولكن في صور متعددة، ولهذا أيضا يجهد كل شاعر في استقصاء الصورة في محاولة تنجح أحيانا في توليد صورةٍ جديدة.

وفي قضية الامام الحسين عليه السلام فلا بد من ان نطالب الشاعر بصورة فيها من الابتكار والجدّة ما يتجاوز فيه التناول المعتاد لشعراء سبقوه، فهل أفلح في ذلك؟

يقول:

وبنو أميةَ في جسومِ صِحابِهِ ... قد حَطّموا السُّمْرَ اللّدان الذُّبّلا
شربوا بكاساتِ القنا خَمرَ الفَنَا ... مُزِجَ البلاءُ به فأمسوا في البلا
وتقاطعت أرْحامهم وجُسومهمْ ... كَرَماً وأوْصَلت الرؤوس الأرْجُلا
وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم ... دار المقامة في القيامة موئلا

ويقول ايضا:

ومِن العَجائبِ إنه يشكو الظَمَا ... وأبوه يَسْقي في المَعاد السَلْسَلَا

وكل جزئيات الصورة هذه تعتمد على الحقائق المادية، ولذلك فالحس يعتبر من ابرز مصادر صور الشاعر فهو يقول:

حامت عليهِ للحمام كواسرٌ ... ظمئت فأشربت الحمام دمَ الطِّلا
أمست به سُمر الرِماحِ وزرقها ... حمْراً وشهب الخيلِ دهْماً جُفّلا
هاتيك بالدم قد صبِغن وهذه ... صبِغت بنقع صِبغةً لن تنصلا

٥٦- التصوير والخيال: ر.ل.بريت، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي (٦) دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م: ١٥

٥٧- في النقد الادبي دراسة وتطبيق، د.كمال نشات، مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م: ٢٦

٥٨- الصورة الشعرية ومجالات الحياة عند زهير بن ابي سلمى، د. عبد القادر الرباعي، (فعال) مجلة المورد، مجلد ٩، عدد٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ١٥

٥٩- الصورة في الشعر العربي، د.على البطل، دار الاندلس، بغداد، ١٩٨٠م: ٢٦

وهكذا تبدو الصورة وهي تمور بالحركة، حتى ليكاد الشاعر يقيمها أمامنا جسداً حيّاً متحرّكاً يصدر فيها موجات متدفّقة من الحركة الرائعة، تشمل كل جزئية فيها بالتشكيل العام، ويلحظ فيها تاثير الجانب الديني في خيال الشاعر في تكوين صوره، وذلك أمر لا بد منه لانه يظلّ مؤثرا في الذهن وهو يؤدي الى نوع من النمطية والتكرار في الصورة بين الشعراء ذوي العقيدة الواحدة، نتيجة استلهامهم ذلك التراث الفكري، ولذلك في دراستنا لشاعر تمثل العقيدة الدينية جانبا مهما من تكوينه الفكري، لا بد من ان نلحظ تلك العلاقة الوثيقة بين صوره الفنية، ومعتقداته الدينية التي هي منبعه الاساس في توليد الصور، وهكذا يمثل الفكر المصدر الآخر في الصورة لديه عندما يستكمل تشكيل صورته ننتقل الى صورة اخرى نجدها في قوله:

وسروا بنسوته السراة بلا مِلا ... حسرى يلاحظهنّ ألحاظ المَلا
وغدوا بزين العابدين الساجد الـ ... ـحبر الامين مقيدا ومغللا
وسكينة امست وساكن قلبها ... متحرك في الاسى لن يرحلا

ولا تعوزه القدرة على توليد الصورة والتقاطها ببراعة واضحة مؤثرة، من ذلك قوله مصورا الدمع:

ولابكين على الحسين بمدمع ... قانٍ أُبلّ به الصعيد المُمْحِلا
ياطَفّ طَافَ على ثراك من الحيا ... هامٍ تسير به السّحائب جُفّلَا
ذو هَيدَبٍ متراكبٍ متلاحمٍ ... عالٍ البروق يسحّ دَمْعاً مُسْبِلا
يشفيكَ إذْ يسقيك منه بوابلٍ ... عَذْبٍ له أَرَجٌ يحاكي المَنْدَلا

ويختم صورته عن الحسين عليه السلام ومعركته بالتحول الى ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

ثمّ السّلامُ نِ السّلامِ عِلِي الّذِي ... نُصِبتْ له في خُمّ راياتُ الوَلا
تالي كتابَ اللهِ أكرَمَ من تلا ... وأجلّ من للمصطفى الهادي تلا

معددا مناقبه قائلا:

زَوْجُ البتولِ اخُ الرسولِ مُطَلّقُ الـ ... ـدّنيا وقاليها بنيرانِ الفلا
رجلٌ تَسرْبَلَ بالعفافِ وَحبّذا ... رجلٌ بأثوابِ العفافِ تَسَرْبَلا
تلقاه يوم السّلم غَيْثاً مُسْبلا ... تراه يوم الحرب ليثاً مُشبلا

وندخل معه في موضع اخر يحتاج وقفة أخرى مع هذا الشاعر العقيدي المبدع الذي تفصلنا عنه سته قرون وما يزال صوته يشجي النفوس التي تتذكر مصيبة الحسين عليه السلام فتتقد أفئدتها بالحزن والأسى ولسان حالها ولسانها يقول ما قاله ابن العرندس قبل ستة قرون:

فلألْعننّ بني أميةَ ما حدا الـ ... ـحادي وما سِرْبُ الكتائبِ قَلْقَلَا
ولألْعننّ زيادَها ويزيدَها ... ويزيدُها ربّي عذاباً مُنْزَلَا
تبّاً لهم فعلوا بآ ل محمّدٍ ... ما ليس تفعلُه الجبابرةُ الأُلَى

وبرغم ان بحثاً موجزاً لا يمكن ان يفي شاعراً بهذا المستوى الفني، وهذا القدر من الشعر، والذيوع الذي حظي به، ومن الضروري الإلتفات الى بذل الجهد لجمع ديوانه، لكي يشغل مكانه في المكتبة العربية، ولعل هذا البحث، مساهمة في ذلك.

نتائج البحث:

لقد ظهر من خلال البحث:

١. ان ابن العرندس الحلي لم يحظ باهتمام الدارسين ولم يكن فنه مجالا للدراسة والكشف عن مميزاته الفنية.
٢. ان الشاعر زيادة على شاعريته كان عالماً وفقيهاً، وله في الاصول نشاط وبحث.
٣. ان شاعر العقيدة يبقى دائما مشدودا في فنه الى عقيدته، والدفاع عنها، ورد الشبهات التي تواجهها.
٤. تظهر آثار ثقافته الدينية في شعره، كعلم الكلام والاقتباس من القرآن الكريم.
٥. تبين في شعره تاثره بما شاع في عصره من اهتمام بالمحسنات اللفظية والمعنوية، وشيوعها في عصره.
٦. قلة المصادر التي تعنى بدراسة شعراء العقيدة ولا سيما اذا كان الشاعر على مذهب تناصبه السلطات العداء وتحارب أفكاره وتحاصره كمذهب أهل البيت عليهم السلام.
٧. اعتمد في شعره على الروايات، وعرضها لإثبات عقيدته التي يؤمن بها، وتقصّى رواياته بجدّ وتحرّ.
٨. بقيت قضية الحسين عليه السلام برغم القرون الطويلة تستقطب اهتمام شعراء العقيدة، وتأخذ مساحات واسعة من شعرهم، بل انها قد تكون المدار الرئيس الذي تتمحور حوله الافكار الاساس في شعرهم.
٩. بينت الدراسة حاجة كثير من شعراء العقيدة (ولا سيما أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام) للدراسة والبحث لاستجلاء ملامح شعرهم وطريقة تناولهم لجوانب العقيدة التي يؤمنون بها.
١٠. تهافت ما يطلق من أحكام من ان الشعر العربي في معظمه شعر مدح وتكسّب... وان الشعراء متقلبو الاهواء والنزعات، سريعو التحول عن مبادئهم، اذا دهمتهم مواطن الخوف، فقد تبين ان ابن العرندس (والناشئ الصغير قبله) ظل ملتزما في شعره بالدفاع عن عقيدته.
١١. ان كثيرا من الشعر قد ضاع، ودليل ذلك في شعر ابن العرندس، فان شعرا بهذه القوة والمستوى الفني الرفيع لا يمكن ان يكون قليلا، فالذي وصل الينا بضع قصائد منه ولعل أسبابا كثيرة وراء ضياعه منها الدوافع السياسية وتمادي السلطات في منع الاصوات المعارضة التي تدافع عن الحقيقة ومنهج الرسالة المحمدية الأصيلة في منهج أهل البيت عليهم السلام.

ملحق رقم(١)

لقد ظلت قضية الامام الحسين عليه السلام منذ استشهاده وحتى العصر الحاضر ميدانا واسعاً للبحوث الفكرية والعقيدية، والفنية وعلى سبيل المثال فان ما كتب من مقاتل تتحدث عن تفاصيل مقتله يمثل تراثا اسلاميا هائلا، واكثر كتب المقاتل القديمة لم يبق منها الا الاسم، فقد حرفت واتلفت وسرقت، ولو عرضنا لكتب المقاتل التي كتبت حتى زمن السيد بن طاووس(ت٦٦٤هـ) الذي اشتهر كتابه: اللهوف على قتلى الطفوف وعرض فيه لجملة ما أُلف في المقاتل حتى عصره نجد الاتي على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحصر فدون ذلك خرط القتاد: -

فقد الف في المقاتل:

١. الاصبغ بن نباتة المجاشعي التميمي الحنظلي:

من خاصة اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شرطة الخميس عمر بعد علي عليه السلام طويلا، توفي بعد المئة له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٠] والظاهر انه أول من الف وكتب في مقتل الحسين عليه السلام ويعد من معاصري واقعة كربلاء.

٢. ابو احمد عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن عيسى الجلودي من اصحاب ابي جعفر عليه السلام[٦١]

٣. ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الاسدي الغامدي روى عن جعفر بن محمد عليه السلام وقيل انه من اصحاب الامام علي عليه السلام والحسن والحسين، وهو بعيد اذ ان اباه قد عاصرهم... له كتاب مقتل الحسين عليه السلام، والكتاب المتداول الان بهذا العنوان والمنسوب له، ليس الكتاب الذي ألفه قطعا، وانما من تآليف من تاخر عن وفي ذلك آراء[٦٢]

٤. ابو عبد الله –ابو محمد- جابر بن يزيد الجعفي لقي أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام ومات في ايامه سنة ١٢٨هـ له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام

٥. ابو عبد الله محمد بن حمد الواقدي المدني البغدادي، صاحب كتاب الاداب (ت٢٠٧هـ) له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٦٣]

٦. ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ) له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٦٤]

٧. المفضل نصر بن مزاحم المنتصري العطار، كوفي مستقيم الطريقة (٢١٢هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام ٦٥ وهو صاحب كتاب صفين

٨. ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٦]

٩. ابو الحسن علي بن محمد المدائني، عامي المذهب، كتبه سنة (ت٢٢٤هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام او السيرة في مقتل الحسين عليه السلام[٦٧]

١٠. عبد الله بن احمد – او محمد- بن أبي الدنيا، عامي المذهب (ت٢٨١هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٨]

١١. ابراهيم بن محمد بن سعيد هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي، اصله كوفي سكن أصفهان (ت٢٨٣هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٩]

١٢.ابن واضح اليعقوبي احمد بن اسحاق الاخب اي الشهيد (صاحب تاريخ اليعقوبي) (ت٢٩٢ او ٢٨٤هـ) وهو متأخر عن أبي مخنف له كتاب مقتل الحسن عليه السلام[٧٠]

٦٠- الفهرست: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الاسلامية التابع لجماعة المدرسين، قم، ١٩٧٠هـ: ٢٧ برقم: ١٠٨

٦١- الذريعة الى تصانيف الشيعة، اغا برزك، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/٢٠٠٣م: ٢٥/٢٢، برقم: ٥٨٥١

٦٢- انظر: رجال النجاشي: ٣٣٠، برقم: ٨٧٥، والفهرست، للطوسي: ١٢٩، برقم: ٥٧٣، وانظر: معالم العلماء، لابن شهرآشوب: ٩٣، برقم: ٦٤٩، والذريعة: ٢٧/٢٢، برقم: ٥٨٥٩، ولاستاذنا الدكتور عبد الله فياض (رحمه الله) دراسة مستفيضة في المقتل المتداول بين فيها وجود كثير من التناقضات والماخذ عليه

٦٣- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٦٩

٦٤- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٧٣

٦٥- رجال النجاشي: ٤٢٧- ٤٢٨، برقم ٣١٤٨

٦٦- فهرست الطوسي: ٩٥، برقم: ٣٩٥

٦٧- م.ن: ١٠٤، برقم: ٤٣٨

٦٨- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٦٩

٦٩- م.ن: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٧١

٧٠- م.ن: ٢٣/٢٢، برقم: ٥٨٣٣

١٣. ابو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، مولى بني غلاب، كان وجها من وجوه اصحابنا بالبصرة (ت٢٩٨هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧١]

١٤. عبد الله بن عبد العزيز اليعقوبي (ت٣١٧هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٢]

١٥. ضياء الدين ابو مؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ) وله كتاب الحسين عليه السلام كبير في جزئين[٧٣]

١٦. ابو القاسم محمود بن مبارك الواسطي (ت٥٩٢هـ) وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٤]

١٧. نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن البقاء هبة الله ابن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ) وله كتاب مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام[٧٥]

١٨. عز الدين عبد الرزاق الجزري (ت٦٦١هـ) وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٦]

١٩. ممن لم تذكر سنوات وفاتهم وكتبوا في المقاتل، ويرجح ان تكون تآليفهم قبل وفاة الشيخ ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) ومنهم:

- هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن زيد العالم بالأيام المشهور بالفضل والعلم له مقتل الحسين عليه السلام[٧٧]
- ابو زيد عمار بن زيد الخيواني الهمداني له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٨]

٢٠. ابو جعفر محمد بن احمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله بن سعد بن مالك الاشعري القمي... له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٧٩]

٢١. ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت...) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٨٠]

٢٢. محمد بن علي بن الفضل بن تمام بن سكني شيخ بن الغضائري وفي طبقة الصدوق، كان ثقة عينا صحيح الاعتقاد، جيد التصنيف له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٨١]

هذه المقاتل أمثلة على ما كتب في القرون التي سبقت السيد ابن طاووس منذ القرن الاول الهجري حتى عصره (ت٦٦٤هـ)، وقد كتب السيد ابن طاووس كتابين في مقتل الامام الحسين عليه السلام هما:

١. الملهوف (اللهوف) على قتلى الطفوف[٨٢]، وهو كتاب مميّز في بابه وشهرته، ذكره الشيخ محمد حسن آل ياسين في بحثه عن السيد ابن طاووس وقال: طبع في النجف وايران غير مرة، ونقل قول (اتاك كلبرك) في دراسته عن السيد ابن طاووس: "اللهوف من اشهر مؤلفات رضي الدين علي"[٨٣]

٧١- م.ن: ٢٢/٢٨، برقم: ٥٨٧٠

٧٢- كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، (د.ت): ٢/١٧٩٤

٧٣- انظر: الملهوف على قتلى الطفوف، السيد علي بن طاووس، تحقيق: فارس تبريزيان، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٤٦

مقتل الحسين للخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، مطبعة الزهراء، النجف ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

٧٤- الماهوف على قتلى الطفوف: ١٤١

٧٥- م.ن

٧٦- م.ن

٧٧- رجال النجاشي: ٤٣٤، برقم ١١٦٦

٧٨- م.ن: ٣٠٣، برقم: ٨٢٧

٧٩- الذريعة: ٢٢/٢٧، برقم: ٥٨٦١

٨٠- فهرست الشيخ الطوسي: ١٥٦- ١٥٧، برقم: ٥٩٥

٨١- الذريعة: ٢٢/٢٨، برقم: ٥٨٦٨

٨٢- انظر: الذريعة ٢٢/٤٢٣

وقد قسم المؤلف كتابه على ثلاثة مسالك:

الاول: تحدث فيه عن الامور المتقدمة على القتال... ومبايعة يزيد ورفض الحسين عليه السلام... وإرساله ابن عمه مسلم الى الكوفة بعد إرسال أهل الكوفة المراسيل له ومبايعته ومقتل مسلم... ومسير الحسين الى العراق مع عياله وأهل بيته وانصاره

المسلك الثاني: في وصف حال القتال بتفصيل واف

والمسلك الثالث: تحدث عن الامور المتأخرة عن قتله عليه السلام وبقي الكتاب موضع اهتمام الناس ورعايتهم وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة وطبع الكتاب أكثر من سبع طبعات وترجم الى الفارسية[٨٤]

٢. اما كتابه الثاني في مقتل الامام الحسين عليه السلام فهو: مصرع الشين في مقتل الحسين[٨٥]

المصادر:

القران الكريم

٣. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٩م

٤. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥. الاسلوب، احمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٦. أعيان الشيعة، محسن الامين العاملي، تحقيق: ولده حسن الامين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م

٧. الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م- ١٩٦١م

٨. الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/٢٠٠٦م

٩. البابليات، محمد علي اليعقوبي، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف، د.ت

١٠. البلاغة وعلم الاسلوب، د.محمود احمد ابو عجمية وصاحبيه، جامعة العلاقات الدولية، عمان، ٢٠٠١م

١١. تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٤م

١٠. تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م

١١. تاريخ الحلة، يوسف كركوش، دار انتشارات، مطبعة شريعت، قم، ١٤٣٠هـ.

١٢. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) دار المنار، لبنان، ٢٠٠٠ م.

١٣. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ) مراجعة: د.مصطفى نجيب فواز وصاحبه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م

١٤. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م

١٥. تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، ط٣، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨٣- دراسة عن السيد علي بن طاووس، محمد حسن آل ياسين "مقال" مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١٨، مح٢: ١٨

٨٤- الذريعة: ١٨/٢٩٦. وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت): ١٩٦

٨٥- انظر: الذريعة: ١٤/١٤٠، برقم: ١٩٨٣

١٦.التصوير والخيال، ر.ل.بريت، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، ط٦، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م
١٧.جمهرة انساب العرب، ابن حزم (ت)، تحقيق: محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٣م
١٨.الحيوان، الجاحظ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٣٨٥هـ\١٩٦٥م
١٩.الذريعة الى تصانيف الشيعة، انما برزك الطهراني، دار الاضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ
٢٠.رجال النجاشي، ابو العباس بن احمد النجاشي الاسدي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: موسى الشبيري، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم
٢١.شعراء الحلة، علي الخاقاني، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٢هـ\١٩٥٢م
٢٢.شعراء البصرة في العصر الاموي، الشريف قاسم عون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م
٢٣.الصورة الشعرية، سي دي لويس، ترجمة: احمد نصيف واخرين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م
٢٤.الصورة الفنية معيارا نقديا، د.عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م
٢٥.الصورة في الشعر العربي، د.علي البطل، دار الاندلس، بغداد، ١٩٨٠م
٢٦.الطليعة في شعراء الشيعة، الشيخ محمد السماوي (ت)، نسخة مصورة في مكتبة أمير المؤمنين العامة
٢٧.عالم الاسلام، د.حسين مؤنس، دار الزهراء، الاعلامي العربي، القاهرة، ١٩٨٩م
٢٨.العصر الاسلامي، شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م
٢٩.الغدير في الكتاب والسنة والاداب، عبد الحسين الاميني، تحقيق: مركز الغدير، ط٢، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م
٣٠.فجر الاسلام، احمد امين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م
٣١.الفهرست، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامية، قم، ١٤١٧هـ
٣٢.في النقد الادبي، دراسة وتطبيق، د.كمال نشات، مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
٣٣.الكامل في اللغة والادب، محمد بن يزيد المبرد (ت)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م
٣٤.كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت
٣٥.لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م
٣٦.مجمع الزوائد ومنبع العوائد، الحافظ الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
٣٧.مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، سيد امير علي، ترجمة: رياض رافت، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م
٣٨.مراقد المعارف، محمد حرز الدين، حققه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م
٣٩.معالم العلماء، محمد بن علي السروي المازندراني ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨) عني بنشرهعباس إقبال، طهران، ١٣٥٣ هـ ش .
٤٠.المعالم التراثية والدينية في الحلة الفيحاء، سعد الحداد، الحلة، ٢٠٠٦م
٤١.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة في المكتبة العلمية، طهران، د.ت

٤٢.مقتل الحسين عليه السلام ، الخوارزمي، ابي المؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، مطبعة الزهراء، النجف، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م
٤٣.الملهوف على قتلى الطفوف، السيد علي بن طاووس، تحقيق: فارس تبريزيان، ط١، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٤٦هـ
٤٤.من مشاهير اعلام الحلة، د.ثامر الخفاجي، ط١، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٤هـ/٢٠٠٧م
٤٥.النزاع والتخاصم فيما بين امية وهاشم، المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: د.حسين مؤنس، مطبعة امير، قم، ١٤١٢
٤٦.النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين بن الاثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الضاحي، مطبعة شريعت، ايران.

المقالات:

١. دراسة عن السيد علي بن طاووس، محمد حسن ال ياسين، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١٨، مجلد٢
٢. الصورة الشعرية ومجالات الحياة عند زهير بن ابي سلمى، د.عبد القادر الرباعي، مجلة المورد، المجلد٩، العدد ٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
- اطروحة: المعارك الادبية في العراق في القرون الثلاثة الاخيرة، اطروحة دكتوراه، د.محمد حسن محيي الدين، كلية الاداب- جامعة الكوفة، ٢٠٠٥م.